

## الفصل الخامس عشر لا مشكلات، فقط إمكانات

أحد ما يقول إنه  
يوجد توفيق،  
فما هو - سوء  
الحظ؟

مقولة بوذية

أكثر يتنا يحلمون بذلك اليوم، عندما لا توجد أيّ مشكلات، وكل الأمور ستكون محلولة وتصبح حياتنا «كاملة وتامة». إلا أن المشكلات تبقى جزءاً مهماً وذا معنى من وجودنا، ونحن مجبرون على عدم الهروب منها، ومحاولة فهم ما تقدمه بواسطة ذاتها.

فلا شيء يجري مصادفة. ونحن - جزء من الكون، الذي يرسل لنا، دائماً، إشارات ورموز، كثيراً ما تكون في شكل المشكلات. وليس مصادفة ولا مطابقة أن هذه المشكلة المحددة بالضبط، قد لامست الناحية المعطاة من حياتك، فصعوباتنا هي الدلائل، التي يجب قراءتها.

اسأل نفسك:

ماذا تريد هذه المشكلة أن تقول فيما يخصني؟

وما الذي تقوله عن أفكاري؟ آمالي؟ نشاطاتي؟ بدائلي؟ أسلوب حياتي؟

ماذا تحاول هذه المشكلة أن تقول لي؟ تأمل وفكر، هل تستطيع إيجاد إجابة حقيقية، أم لا؟ أما إذا كنت ستأسف على نفسك. أو تستسلم للقدر في مواجهة المشكلات، فأغفل الرسالة المهمة الموجهة إليك.

## كن خيميائياً

أحد خيميائي العصور الوسطى قضى حياته في محاولة إيجاد سر تحويل المعادن العادية إلى ذهب. وكمية كبيرة من الوقت وثروات ضخمة صرفت على هذا البحث، ولكن من دون نتيجة. وقد تلتقت خيمياء القرون الوسطى خسارة، لأن أنصارها لم يذهبوا بالاتجاه الصحيح. والخيميائي المعاصر، الذي يدرس سر تحويل الأوضاع اليومية إلى ذهب، يبحث عن كيفية إيجاد مخرج من أي حالة. والصعوبات والمشكلات يمكن استعمالها كمقفز لتعميق الفراسة، والخيميائي المعاصر يدرك أنه لا توجد مشكلات بل توجد فرص مؤاتية.

### المشكلة مفهوم غير موجود، ولدينا إمكانات فقط

من المفيد للشخص الوثوق بقواه والمباشرة في البحث عن الإمكانيات الموجودة في كل حالة، - والمعارف المكتسبة، مدهشة ببساطة.

ومارغريت كيللي، التي حضرت بحثي عن «قوى التفكير المتحركة» استخدمت، مرة، هذه القاعدة في العمل، وكانت تدير إحدى العيادات الخاصة، وبالتعاون مع اثنين من المساعدين، أدارت الأعمال اليومية لأكثر من ألف مريض. ولو أن واحداً من مساعديها أصيب بمرض، لقاد ذلك إلى صعوبات، وهكذا، يمكن أن تتخيل، بأيّ «مشكلة» اصطدمت، عندما مرض الإنسان. كان يمكنك لها أن «تفلس»، لكنها تذكرت فيما بعد أنه «لا يوجد هكذا مفهوم كالـ «مشكلة»، بل يوجد فقط إمكانيات. وأين الإمكان هنا؟ هذا كان اهتمام مارغريت حينها.

وأدركت مارغريت أنها أدارت العمل، دائماً، بواسطة المساعدين وعملياً، لم تعرف الشخص، الذي تعامل المساعدان معه. فقالت لنفسها: «استعد للاستفادة من ذلك، لكي أعرف الأشخاص الآخرين». وقضت يوماً تلتقي فيه وتتحدث مع أولئك العاملين، الذين لم تتواصل معهم عملياً بشكل

عام. واستمعت مار غريت لهواجسهم، وتعرفت إلى الصعوبات، ما قاد بدوره، وبشكل كامل، إلى طريقة تطبيق، جديدة وأكثر تأثيراً، للواجبات العادية. وكما قالت لي كيلى فيما بعد: «تحول النهار إلى فرصة رائعة، وهكذا قمت بالكثير».

وأشك بأن مار غريت كيلى كانت لتستطيع تحويل هذا القدر من الحالة المتوترة إلى تفوق وأفضلية، ملتفة حول ما يسمى «المشكلة» خاصتها. وقد جرى لديها تغيير في الاستيعاب من «لدي صعوبات كبيرة» إلى «المشكلات غير موجودة، لدينا إمكانات فقط» الأمر الذي سمح بتجريب طريق جديد للنشاط، موصلاً إلى نتائج ممتازة.

أما نانسي سبينسر، فكانت في وضع صعب عندما تعرفت إليها لأول مرة، وقد تركها زوجها الذي كان يربطه بها عقد زواج مدني، وبقيت نانسي مع ثلاثة أولاد صغار بين يديها، ولم يكن لديها نقود، ولا أي مهنة ولا آفاق على المدى القريب، وبدت في مشكلة كداء، انهالت عليها، طالما لم تذكر نفسها بأنه لا توجد مشكلات، بل توجد أحداث مشجعة، ولكن أين هي؟ وطال بحثها لأسابيع، إلى أن حصلت على فرصتها في النهاية.

وطارحة على نفسها الكثير من الأسئلة، أدركت أنها كانت تتبع دائماً أحد ما، ففي البداية كان الوالدان، وبعد ذلك الزوج. فنانسي، دائماً كانت تسمح للآخرين أن يقولوا لها ما يتوجب عليها القيام به، لأن إحساسها بالكرامة كان في أدنى مستوياته. وهي الآن في يأس كامل، حالة لا أمل فيها، على الرغم من ذلك قطعت على نفسها وعداً. فمن أجل نفسها وأولادها اتخذت قراراً بتحسين الوضع، وأن تصبح امرأة واثقة وناجحة. واستعملت هذه الأزمة كمقفز، لكي تغدو شخصية قوية ومستقلة.

وكان من اللذة لي دراسة تصورات نانسي، الداخلة في هذا الكتاب: فقد كانت نانسي مستمعاً بخيلاً، وعملت بمثابة ومن دون انقطاع على تقويم نفسها، وقناعاتها ومشكلاتها. وقد تبدلت في نظري، فقد رأيت كيف تطورت من عامل مساعد بسيط إلى مالك محل خاص لتجارة الزهور. واليوم، هي امرأة سعيدة، ناجحة، واثقة بنفسها، متزوجة من شخص مخلص، طيب. ولديهما حياة مشتركة رائعة، وكل ذلك بسبب إيمان نانسي بأن المشكلات - هي منبع الإمكانيات والفرص.

فكن كيميائياً في حياتك وتعلم تحويل كل حالة إلى حادثة ملائمة. وتذكر أنه كثيراً ما نأسف للأحداث، التي، وكما تفسر، كانت ضرورية من أجل النمو والتطور.

والمشهد الذي حدث مع دون ستوكي يمكن أن يكون واحداً من الأمثلة البارزة على تحويل حادث عفوي إلى فرصة مواتية. فبعد أن وضع عينة زجاج داخل الفرن بشكل غير مقصود، وجدها قد ابيضت، ولم يرتبك كثيراً، فهو اكتشف مسلماً إبداعياً وحول هذه الحادثة إلى عمل صالح. تابع تجاربه على مادة جديدة، وجد أنها يمكن أن تقاوم الלהيب الحار، وفيما بعد حسن التكنولوجيا وروج، في التجارة، «هفوته» كزجاج مضاد للحرارة، وهذا ما نقبله، اليوم، في كل بيت من بيوت أميركا الشمالية.

فتعلم النظر إلى جهودك ومشكلاتك، كما تنظر إلى آفاق وفرص، وليس كفروض أو عوائق. وإليك قصة سيدة الأعمال كيتي كولبي، المولودة مع مرض «خلل القراءة» ولم تستطع تمييز الجهة اليسرى. عن اليمنى أو تحديد الوقت؛ وحققت كل شيء بجهد ضخم. «فقدان أهلية التعرف خاصتي - واحد من أكبر امتيازاتي - قالت هي، فهو ساعدني في تعلم التفكير».

وفي إحدى المرات، قامت كولبي بخطوة حاسمة. فبمبلغ /500 دولار، مما تخبئه، أسست شركة تحمل اسم «موارد للموهوبين» (resources for the gifted). وقامت بوضع «كتالوغ» يحتوي الموارد الموجودة للأطفال الموهوبين عقلياً، ووزعته على /3500 معلم. وكانت الحجوزات قليلة جداً في البداية، وحتى عندما نما تيارهم، كان العمل يتحرك بصعوبة، في السنوات الأولى. وكانت قد اشترت مستودعاً، ألا أن البناء احترق، وصرف العاملون النقود، وتطلقت كولبي من زوجها. ولكن، وبغض النظر عن أي شيء، لم تتوقف يوماً عن الإيمان بأنه «لا يوجد مفهوم بمعنى مشكلة، فلدينا فقط إمكانيات وفرص». وفي هذه الأيام تشكل دورتها المالية /305 مليون دولار في السنة وشركة «موارد للموهوبين» تتابع نموها.

والرئيس الأميركي فرانكلين د. روزفلت عانى من شلل نصفي ولم يستطع الجلوس أو الخروج من كرسي المعوقين، من دون مساعدة جانبية. إلا أنه قاد البلاد إلى الخروج من «خمول كبير» ودخل التاريخ العالمي كواحد من السياسيين المعترين والأكثر احتراماً.

أما بوب هوك، فتخلص من إدمان الكحول، وأصبح قائداً قوياً في حزب العمال كذلك، رئيس وزراء ناجحاً في أستراليا لأربع مرات.

فيلما رودولف، المولودة لأسرة فقيرة في ولاية تينيسي، التي تعاني من «الخمول» وعندما أصابها شلل الأطفال، لم تبد حياة فيلما لتوحي بالتفاؤل، ولا مليئة بالأمال، لكن الفتاة ذلت الصعاب وفي العام 1960، في الألعاب الأولمبية في روما، فازت بثلاث ميداليات ذهبية بألعاب القوى.

وبعد ثلاثين سنة اصطدمت البطلة الأولمبية المحتملة، مع الحالة نفسها المتأزمة في حياتها، فقد تحضرت غيل ديوارز لمباريات أولمبياد /1992 في برشلونة، عندما اكتسى جسدها كاملاً بتقرحات مفاجئة. وبداء، أن لا أحد يستطيع تحديد ماهية الإصابة. إلى أن تم، في النهاية، تحديد الحالة، على أنها مرض «غريوس»، الذي تمثلت الحالة معه ببروز تهديد حقيقي بقطع القدم. وبقي على موعد العملية يومان، عندما بدأت غيل باستعادة صحتها. وبخروجها من هذه المصيبة، فازت بسباق المئة متر جرياً في برشلونة، وبعد ذلك، في بلدها، ومع تصفيق جمهور قدر بـ 85 ألف شخص، كررت غيل مآثرتها الرائعة عام 1996 في أتلانتا. «لم أكن أريد تغيير شيء ما، - قالت غيل متذكرة تلك التجربة القاسية. فهذه الأذية تحولت إلى عمل خير. وجعلت مني تلك، التي أنا هي الآن، جعلتني أفضل وأقوى».

أما مدير ومؤسس شركة استثمار قوية وناجحة، فنقاسم معي سر استخدام منفذين كبار في العمل. «نحن لا نستخدم ولا واحداً من الخريجين، طالما أنه لم يتلق، في حياته، حتى ولو خسارة كبيرة واحدة فنحن نعتبر أن هكذا أشخاص، بالنتيجة، يصبحون أكثر حتمية وحمزماً».

فأي إمكانات تنتظرك الآن مباشرة؟ وأنت لن تعرف أبداً، طالما لم تبدأ البحث عنها. ونادراً جداً ما تجد أن الفرص تبحث عنك وتلوح لك بالرايات؛ وهي في أكثر الأحيان تتستر خلف المشكلات والفشل. ألا أن الفرص موجودة بكثرة من أجل واحد كل منا، وإذا كنت تريد اكتشاف ومتابعة «مشكلاتك»، مستخدماً المسلك الجديد، فسوف تكون بانتظارك مفاجآت سارة. وكل صراعك وجهودك - هي فرص وإمكانات وكما يقول أرنولد شوارتزنيغر: «أنا أو من بالصراع».